مصطفى المسناوي

علب السردين

١ ــ شهادة ب٠د (بناء) :

توقفنا عن العمل في الساعة الثانية عشرة ، لنستريح ساعتين نستانفه بعدهما ، ولان خصاما وقع بيني وبين (ع) و (خ) فقد ارتايت اعداد غذائي وحدي . وهكذا نزلت الى الركن الذي أضع به ملابسي ولوازمي بالدور الارضي ، ووضعت به طاقيتي ، ثم غسلت يدي ووجهي بماء البرميل . ومع ان ماء البرميل كان متسخا ، فقد تمكنت من استشفاف ملامحي الكالحة على سطحه . وتساءلت مع نفسي : الى متى سيظل وجهك هكذا يا (ب) ؟ ولم أكن أعرف الجواب فصمتّ ، وتخوفت من مستقبل مجهول مخيف يغلفني .. ولكيلا أترك هذا التخوف البغيض يسيطر عليّ أكثر من اللازم ، جلبت أخشابا وضعتها بين أحجار الموقد ، وأوقدت النار ، وملأت « الغرّاف » بالماء ووضعته فوقها . ثم خرجت الى دكان الحاج (م) حيث اشتريت ربطة نعناع ، ريالي شاي ، ثمانية ريالات سكر « محراشة » ،وعلبة سردين . وقد حدثني الحاج (م) طويلا ــ على غير عادته ــ عن هذا الزمان الذي تغير كثيرا عن الزمان القديم ، فأصبح عاديا خروج البنات الى الازقة عاريات دون حياء او حشمة ، وأصبح الاطفال يسبون الدين علانية في الازقة ، واصبح المدين يأكل الدائن . ثم انهى حديثه بفتحه لدرج واخراجه لمجموعة كبيرة من الدفيترات المملوءة بالحسابات قائلا ان كل اصحاب هذه الدفيترات لا يريدون دفع أي فرنك . دائما يعتذرون ويسوّفون ، وهو لا يستطيع قطع تزويدهم بالسلع ، لانهم يهددونه بعدم دفع كل المبالغ التي في ذمتهم اذا ما فعل ذلك .. ثم استغفر ربه ورفع يديه مستسلما وهو يقول : هذه علامات يوم القيامة يا بنيّ .. اللهم أجرنا .. اللهم أجرنا .. وقد أمنت على قوله بهزات متتالية من رأسي ، رغم كوني لم أكن متفقا معه في أغلب ما قاله ، وحملت مشترياتي وعدت الى الدار ، حيث وجدت الماء يفور ، فحملت « الغراف » ووضعت به الشاي ثم النعناع والسكر. وتركت الماء يأخذ لونه . ثم فتحت « المحراشة » بمديتي ، وحملت علبة السردين ، رفعت غطاءها لافرغها داخل المحراشة .. لكن !!

تجمدت في مكاني مذعورا وأنا لا أصدق ما أرى ..
لقد كان مكان السردين بالعلبة ، طفل صغير .

٢ ــ شهادة م٠ج٠ (عامل) :

في الساعة الثانية عشرة ، توقف العمل ، ولم يكن بامكاني الذهاب الى المنزل ، لان دراجتي معطوبة ، ولان الوقت لا يكفيني للذهاب والعودة ، يكفيني فقط لانتظار الحافلتين اللتين عليّ ان أركبهما حتى أصل (أركب الاولى حتى وسط المدينة ، ومن وسط المدينة اركب الاخرى حتى الحي) ، لذا فضلت البقاء ، وتناول غذائي في دكان قريب من المعمل .

وجدت الدكان مكتظا بالعمال ، فأخذت أنتظر دوري مفكرا في انه من الافضل ان يذهب الانسان الى منزله ، ويتغذى مع زوجته وأولاده ، وعلى الاخص اذا كان مثلي لا ينتهي عمله حتى الثامنة مساء، فيصل الى المنزل في العاشرة او فوقها ، فيجد أبناءه نائمين .. وفي الصباح يخرج مع السادسة ويتركهم نائمين ايضا .. فلا يرى أعينهم ولا يرونه الا يوم الاحد .. وتذكرت دراجتي المعطوبة ، فاحسست بألم ، لقد كانت تمكنني من أشياء كثيرة ، غير توفير الوقت وأجر الحافلة .. وها هي ذي الآن مرمية لا تقدم فائدة لاحد ، ولا أجد بماذا أصلحها .. طلبت ــ في الواقع ــ من المدير ان يقرضني مبلغا أصلحها به ، حتى رأس الشهر فيقتطعه من الاجر ، غير انه رفض .. وقد فكرت ساعتها في انه ليس من حقه ان يقول لي ذلك .. لانني أملك حقا في المعمل حتى أنا ، وان كان حتى الساعة لم يعطني أحد اياه .. وذهبت الى رجال يهتمون بالعمال داخل معملنا .. لكنهم ــ بدورهم ــ لم ينصتوا لي ، وقالوا لي كلاما كثيرا فهمت منه ما معناه : نحن نهتم بالجماعة فقط .. وأنت فرد وحيد .. فلن نشغل بالنا بك ، وقد بدأوا اليوم فعلا في الاهتمام بالجماعة ، قائلين لهم : عليكم ان تطالبوا بالزيادة في أجوركم بنسبة ٥ ٪ ... وهذا مطلب مشروع لان ولان ولان ... الخ . وقد همس أحدهم في أذني : « أتدري ؟ هذا يهمك أيضا .. نحن نهتم بالفرد .. لكن داخل الجماعة » .. وأظن ان اضرابا سيبدأ بعد يوم او يومين اذا رفض المدير .. وسيمتد .. ثم تبدأ تنازلات وتنازلات ، حتى ينادوا علينا : « تعالوا .. ادخلوا .. لقد سوينا الامر » .. قد يزيدون فعلا هذه الـ ٥ ٪ لكن من يعرف منا حقا مقدارها بالنسبة للاجر .. ولا معناها .. بل ماذا تفيدنا كلها في الحقيقة ..

وصل دوري فطلبت نصف لتر من الحليب ، خبزة ، وعلبة سردين ..

ناولني صاحب الدكان ما طلبت ، فطلبت منه ان يفتح العلبة ويضع السردين داخل الخبزة ، لكن !!

ما ان فتحها ، ورفع غطاءها ، حتى شهق ، وشهقت بدوري معه وقد غلفنا الذعر .

كان هناك طفل صغير في العلبة ، عوض السردينات .

٣ ـ شهادة ل.ع. (عاطل) :

جلست مع الاصدقاء على الرصيف المقابل لمكتب التشغيل طيلة هذا الصباح ، منتظرين ان ينادي احدهم علينا ، ويعطينا اسم المعمل الذي سنعمل به ، ولان الانتظار اصبح مملا مع التكرار ومعرفة اللاجدوى ، فقد جلسنا نلعب « الكارطة » حتى الثانية عشرة ، حيث اقفل الباب دون ان ينادي علينا احد . وكالعادة انفجر احدنا : « تفو .. ينعل دين أمهم » وذكّرنا بالحادثة التي وقعت في الاسبوع الماضي ، حيث انتهى صبر (ق) ، فارتمى على أحد الشرطيين الواقفين بالباب وأشبعه ضربا وركلا ، ولم تنقذه منه غير سيارة الاسعاف التي حملته الى المستشفى في حالة يرثى لها .. ثم ذكّرنا بالنتائج الطيبة والسارة التي ترتبت على الحادثة .. اذ نادوا في الفد على سبعة منا ـ من بينهم (ق) ـ وأعطوهم أسماء وعناوين المعامل التي سيعملون بها .. لكن .. للاسف الشديد ، كانوا اقوى من في جماعتنا .. فلم يجرؤ من بعدهم أحد من الباقين على القيام بمثل ما قام به (ق) .. فقط نجلس ونتباهى باقدميتنا في المكتب :

ـ انا مسجل منذ خمس سنوات .. ولما ينادوا عليّ بعد ..

ـ فقط !!.. انا منذ ثماني سنوات ..

ـ وانا (يتكلم كهل حطم زهرة عمره على الرصيف المقابل لمكتب التشغيل) .. مجموع سنواتكما ، ثلاث عشرة سنة .

وانتهى انفجار أحدنا هذا ـ كالعادة ايضا ـ باثارة شيء ما داخلنا يرغب في تحطيم كل شيء .. لكننا أصبحنا ندرك ـ مع مرور الايام ـ اننا نصبح عاديين تماما عندما نلتقي هنا في الساعة الثانية .

تسللت وذهبت الى دكان (ب) وطلبت منه نصف خبزة ، علبة سردين ، وكأس شاي ، متحسسا ـ من فوق جيب السروال ـ الدرهم الذي انتزعته انتزاعا من أمي هذا الصباح ، فتركتها تندب حظها الاسود الذي رزقها بواحد مثلي ، ياخذ لها كل ما تملك فلا يدع لها ولاخوته الصغار شيئا .. لكن .. ماذا بيدي انا ؟ لا شيء .. عليّ ان اتغذى ايضا ..

أحضر (ب) ما طلبت ، وفتح علبة السردين ليفرغها في النصف خبزة .. لكن !!

تجمدت يداه على العلبة وصرخ محدقا فيها ..

نظرت الى حيث ينظر ، فتجمدت بدوري ..

لم يكن هناك سردين في العلبة ..

كان فيها طفل صغير ..

٤ ـ شهادة س.ب. (فلاح يزور المدينة) :

وصلت متاخرا ، اذ كان الموظفون يخرجون من الشركة . ولم يكن الذنب ذنبي ، فقد ركبت « الكار » في الفجر ، ووصل بنا متاخرا الى المدينة .. وبحثت ـ فوق ذلك ـ طويلا عن الشركة قبل أن أجدها .

اقتربت من (الشاوش) الذي كان واقفا بالباب ، وسألته عما اذا كان السيد (ح. ع.) لم يخرج بعد ، فأجاب بعد ان نظر اليّ والى ملابسي شزرا : انه لم يأت اليوم . فسألته بدوري فيما اذا كان ممكنا ان احصل على عنوانه ، فسالني بدوره :

ـ لماذا تسأل عنه .. أانت من اقاربه ؟

ـ كلا .. لست من أقاربه .. اود أن أقول .. اعرف احد اقاربه وهو الذي بعثني اليه ..

ـ لماذا ؟

ـ هه .. لـ .. لـ .. لقضية خاصة !..

ـ لقد منعنا من اعطاء عنوانه لاي واحد يسأل عنه الا اذا كان

العراء

مجموعة قصص بقلم

الدكتور سهيل ادريس

دار الآداب

صدر حديثا

من اقاربه .

ـ الا يمكن لك أن ... ؟

ـ كلا .. لا يمكن لي .

ـ « عافاك آسيدي » .

ـ كلا ..

ـ « الله يرحم والديك » .

ـ . . . . .

ـ « أنا مزاوش فيك » .

ـ قلت لك كلا .. ابتعد عني ..

وقد حاولت طويلا ان اجعله يغير رأيه ، فلم افلح ،وكانالموظفون قد خرجوا كلهم ، فاغلق الباب ، وابتعد عني ذاهبا الى حال سبيله.. فلحقت به وسألته :

ـ هل سياتي بعد الظهر ؟

ـ لست أدري ..

ـ وغدا ؟؟

ـ لست أدري ..

ـ وبعد غد ؟؟

ـ ابتعد عني أيها المأفون .. لا تزعجني باسئلتك الخارقة ..

وانصرف الى حال سبيله ، تاركا اياي وحدي . افكر فيمصيبتي التي لا يستوعبها مخ ولا كتاب . أفكر في أن اقترب من اي واحد يمر أمامي ، أستوقفه وأسلم عليه ، ثم أقول له :

ـ سيدي .. كانت لي أرض .. ورثتها عن ابي .. وابي عن اجداد أجداده .. كانت أرضي .. لا أحد يشك في هذا .. وذات صباح .. كبافي الصباحات .. أتى (ل. د.) أكبر مالك ارض في دائرتنا .. وأحاط أرضي بالاسلاك مدعيا انها له .. جريت ، صرخت، طلعت ، هبطت .. « مقدم الدوار » أحالني الى « الشيخ » والشيخ حملني الى « القايد » الذي رماني في السجن شهرا كاملا ، بتهمة محاولة سرقة أراضي الغير .. لاخرج وقد أصبحت لا املك شيئا .. ولقد أرسلني أحد رجال الدوار الى قريبه الذي يعمل هنا .. السيد (ح. ع.) .. تعرفه بلا شك .. له نفوذ واتصالات .. غير انني لم أجده هذا الصباح .. ويبدو انني لن أجده .. أرجوك .. انتم هنا في المدينة تعرفون كل شيء .. أرجوك .. ساعدني .

ولكن ! كل من يمر امامي ، بجواري ، ورائي ، لا اعرفه ولا يعرفني ، في المدينة : يعرف كل انسان نفسه فقط ، ولا يعرف الآخرين ، وعليّ بدوري أن أهتم بنفسي فقط ، لئلا يحدث لي شيء ما ..

وسقط عليّ غم ثقيل لم يسبق له أن داخلني قبلها ، الا انه ما لبث ان تلاشى عندما فكرت في ان (الشاوش) ربما كذب علي .. تاركا المكان لامل عريض يلقيا السيد (ح.ع.) هذا المساء ..

وتذكرت ـ لحظتها ـ انني جائع ، لم آكل شيئا من محطة وقف بها « الكار » في الطريق .. فدخلت الى مقهى بالمدينة القديمة ، وطلبت خبزة ، براد شاي ، وعلبة سردين . احضرها لي رجل يغطي نصفه الاسفل بمئزر ابيض ، ووضعها فوق المائدة . ثم غاب لحظة وجاء بصحن خال ، وفتاحة علب ، ووضع الصحن ـ بدوره ـ فوق المائدة ، وفتح العلبة بالفتاحة ، ثم رفع غطاءها وأفرغها في الصحن .

لكن !!

صرخنا جميعا مذعورين ..

فعوض ان يسقط سردين في الصحن ..

سقط طفل صغير .

٥ ـ شهادة س . س . (طالب) :

انتهت الحصة الصباحية اليوم في الثانية عشرة ، وكان عليّ ان أعود الى الكلية في الثانية ، فذهبت بسرعة الى المطعم الجامعي لتناول الغذاء . لكنه كان مقفلا . فشعرت بحنق شديد ، واخذت أسال حتى عرفت ان السبب في ذلك هو رداءة الغذاء ، وادعاءات المقتصد الكثيرة والمتكررة بأن الميزانية غير كافية ، رغم معرفة الجميع بانه يمكن ان تكون اكثر من كافية .. وقد وجدت زجاج المطعم مكسورا كله ، وعرفت ان الرفاق لما وجدوا الغذاء رديئا هذا الزوال ، وقد صبروا أسابيع طويلة ، قاموا بكسر كل شيء ، فزال حنقي ، وخرجت من المطعم متوجها الى المنزل الذي نتقاسم سكناه نحن الستة ـ (م.م. ـ ش.ع ـ م.ع. ـ س.م ـ ق.ت ـ وأنا) ـ لاننا لم نجد مكانا بالحي ، مثلنا في ذلك مثل أغلب الطلبة ..

وجدت (م.م.) و (ش.ع.) وحدهما ، فاخبرتهما بأن المطعم مقفل هذا الزوال لرداءة الغذاء ، وعلينا ان نتغذى خارجا ، ووجدها (ش.ع.) فرصة مناسبة لان يتكلم ، ويعلن ان النضال من أجل المطالب السياسية ، يجب ألا يبدأ الا بعد تحقيق جميع المطالب النقابية .. ووجدها (م.م.) كذلك فرصة لان يعترضه قائلا ان الفصل بين المطلبين خرافة .. وان العلاقة بينهما جدلية .. واحتد النقاش بينهما حتى قطعته صارخا : يجب ان نتغذى اولا ثم نتناقش فيما بعد .

فالتفت (م.م) اليّ قائلا وهو يضحك :

ـ مطالبك دائما نقابية ..

فضحكنا جميعا ، لكن بمرارة ، كما تتم ضحكاتنا دائما .. ثم اخذ كل منا يقترح بماذا نتغذى ، حتى انتهينا الى الاتفاق على ان يكون غذاؤنا خبزا ، شايا ، بيضا مسلوقا ، وثلاث علب سردين . فخرجت لاحضارها ـ بعد ان أعطى كل منا حصته النقدية ـ بينما كان (ش.ع.) يشعل البوتاغاز ، ويضع الماء فوقها .

وجدت صاحب الدكان وحده به ، فلبى طلباتي بسرعة ، ووضع ما اردت فوق الحاجز الذي يفصل بيننا ، ثم اخذ يفتح العلب واحدة واحدة ، وبينما كان يفتح العلبة الاخيرة ، أدار الفتاحة دورة زائدة عن اللازم ، فانفصل غطاء العلبة عنها ، فحمله ورماه ..

لكن !!

توقفنا ذاهلين واعيننا ملتصقة بالعلبة ..

لقد كان بها بدل السردين طفل صغير .

وبمجهود جبار تمكنت من مد يدي ، ورفع غطاء العلبتينالاخريين .. لعل ..

عادل العامل

بطاقة حب الطبقة العاملة

يظل حبينك ..
يقطر حبا ..
من اللؤلؤ المتفصد ..
فوق اتقاد الحديد
فيلتف عقدا ..
يزين جيد التي حبها السر ..
في أننـا ...
جبهة من رفاق
وفي اننـا ..
ضحكة في عيون الصغار ..
وهم مثقلون ..
بما في الحقائب ..
من كتب ..
وفاكهة
وأمان رقاق

●

بعينيك ..
يضحك صوت الزمان ..
من المرتـدين ..
قرون التحدي !
فقد حاول السادة ..
الموت ..
مثل الذين انتهوا ..
شجرا في عيون الحدائق
.. لكن حبل المشانق
لم يحتمل سمنة السادة المتخمين !
(لهم دينهم ..
ولنا ديننا ..
وشتان بين الصدى ..
والنداء الدفين !)

●

لقد اورق العرق المر ..
بعد السنين العجاف
نخيـلا يشق الثرى ..
كم رمت سعفه عاتيات الاعاصير ..
لكنها لم تصل
جذره الملتوي ..
بعروق الشفاف
ولم يبق الا اعتلاؤك ..
ظهر النخيل ..
غدا مشرقا ..
في سماء العراق

بغـداد

لكن كلا ..
كان في كل منهما طفل صغير كالاولى .
.. .. ..
.. .. ..
.. .. ..

٦ ـ شهادة أخيرة لـ : ع. ر. (طفل داخل علبـة سردين) :

وأنا مرصوص هكذا داخل العلبة ، لا استطيع تذكر الكثير لكـن مع هذا سأحاول سرد ما أذكر ..

كنا واقفين في الزقاق نتحدث عن الكرة ولاعبيها ، عندما مرّ بنا رجلان متجهمان . صمتنا فاقتربا منا وسألانا :

ـ فيم كنتم تتحدثون ؟

فاجبنا في صوت واحد :

ـ الكرة .

فابتسما وقالا لنا :

ـ جميل .. جميل جدا .. هكذا يجب ان تتحدثوا يا ابنائي .. لانه يجب ان تثقفوا أنفسكم ، ثم دعوانا الى اكمال كلامنا ، وانصرفا الى حال سبيلهما ..

وبعد ذهابهما ، أذكر ، لم يستطع اي واحد منا أن ينطق ولـو بكلمة بعد في الكرة ، وصمتنا طويلا ، الى ان قطع احدنا الصمـت متسائـلا :

ـ لماذا سألانا عما كنا نتحدث فيه ؟

ودار على الاعين متسائلا ، فاجاب احدنا ـ بما كان يخـامرنا جميعـا :

ـ ربما ظنانا نتحدث عن طردنا من المدارس ..

ـ نعم .. ربما .. الطرد الجماعي ..

ـ لقد طردوا من قسمنا عشرين ..

ـ وأنا .. طردوا منه ثلاثين ..

ـ وقسمنا طردوه كله ..

ـ أبي يقول ان عاما أسوأ من عام ..

وفجاة ، لم يدر احد كيف ، وقفت سيارة بيضاء امامنا ، قفـز منها رجال عديدون ، أحاطوا بنا وأصعدونا الى السيارة واحـدا تلو الآخر ...

وفي قمة دهشتنا ، برز الرجلان المتجهمان اللذان ، اكتشفنـا ـ ومتأخرين ـ انهما لم يبتعدا ، بل ظلا وراءنا يستمعان لكلامنـا .. وقهقها ملء أفواههما .. ثم قالا لاحد الرجال الذين اصعدونا الـى السيارة :

ـ انهم هم ..

لقد كانوا يتكلمون في السياسة ..

الدار البيضاء (المغرب) **مصطفى المسناوي**